

قضية لص السيارات

سلسلة الغاز بوليسية مثيرة للمشاهدين



Looloo

www.dvd4arab.com

١ - اللص السخيف ..

انتهت أسرة العقيد (خيرى) من تناول إفطارها ،
ونفض هو من مقعده ، وارتدى سترته ، قائلاً لولديه
(عماد) و (علا) :

— هيا يا صغيرى ، حان الوقت لأوصلكما إلى
مدرستكما ، قبل ذهابى إلى عملى .

نفض (عماد) بنشاط ، على حين غادرت (علا)
مقعدها فى تكاسل ، وهى تقول :

— يا إلهى !! لقد سئمت الذهاب إلى المدرسة كل
صباح .. ألا توجد بلاد بلا مدارس ؟

ضحكت الوالدة وقالت :

— لو أنه توجد بلاد بهذا الشكل ما سمع بها أحد ؛
لأن شعبها سيكون بالضرورة متخلفاً جاهلاً ، لن ينبج



رجال صحافة أو إعلام ، ولن تكون له صحف ، أو
قنوات تليفزيونية ، أو أى وسيلة من وسائل الإعلام .
أما الوالد فقال فى عتاب :

— لولا وجود المدارس ، وذهابك إليها كل صباح ،
ما أمكنك التمتع بالعقلىة الكافية لحل الألغاز البوليسية
يا (غلا) ، ثم إن حلّ الألغاز البوليسية ، يحتاج إلى ثقافة
واسعة لا تتوافر بلا تعليم .

قالت (غلا) فى خجل :

— هذا صحيح يا والدى .

ثم تناولت حقيبتها ، وتبعت والدها و (عماد) فى
استسلام ..

هبط الجميع درجات السلم وهم يتمازحون ، وما أن
أصبحوا أمام مدخل المنزل حتى توقفوا مبهوتين ، وصاح
العقيد (خيرى) فى لهجة تمتزج فيها الدهشة بالغضب :

— ربّاه !! أين سيارتى الصغيرة ؟

صاح (عماد) فى دهشة :



— لقد اختفت من مكانها ، لقد سُرقت .

استدار العقيد (خيرى) عائداً إلى منزله ، وهو يقول
في غضب :

— يا للصوص السخيف !! ألم يجد أمامه سوى سرقة
سيارة ضابط من ضباط المباحث الجنائية ؟

فشل (عماد) و (غلا) فى استيعاب دروسهما هذا
الصباح فى المدرسة ، فقد كان ذهنهما مشغولاً للغاية
بمصاد سرقة سيارة العائلة ، وازداد سخط (غلا) على
مدرستها ، التى حرمتها قدومها إليها من متابعة الحادث ،
ولكنها لم تلبث أن تذكرت قول والدها ، عن وجوب تمتع
من يحل الألفاز البوليسية بالعلم والثقافة ، فتلاشى
سخطها ، وأخذت تحاول التركيز على دروسها ، على
الرغم من انشغال عقلها بالبحث عن سر اختفاء
السيارة .

ولم يكذب يدق جرس الفسحة ، حتى أسرع

(عماد) و (غلا) ، يلتقيان فى فناء المدرسة ،
وأسرعت (غلا) تقول فى لهفة :

— ألم تلاحظ أن السيارة قد اختفت من أمام
المنزل ، دون أن نسمع صوت دوران محركها ؟
فكر (عماد) لحظة ، ثم قال :

— من يدري ؟ .. ربما لم نسمع صوت المحرك
لاستغراقنا فى النوم .

قالت (غلا) فى ضيق :
— ولماذا سيارتنا بالذات ؟ .. هناك أربع سيارات
أخرى تقف فى نفس الشارع .
ابتسم (عماد) ، وقال :

— ربما كانت سيارتنا أجودها .
لم تنتبه (غلا) إلى دعابته ، فقالت بغضب :
— بالعكس .. إن سيارتنا عادية جداً .. وسيارة
جارنا الجديد ذات الغطاء من القماش الزاهى من نفس
نوعها ، وسيارة الأستاذ (حسين) أفخر كثيراً
و

قاطعها (عماد) ، قائلاً :

— كنت أمزح فحسب يا أختاه ، وَلَنْ نلبث أن نعود إلى منزلنا بعد انتهاء اليوم الدراسي ، وربما وجدنا سيارتنا هناك .

مرَّ النصف الثاني من اليوم الدراسي عليهما بطيئاً ، وزاد من بطئه شدة لهما على الانصراف ، حتى أنهما لم يحتملا الوقت الذي قطعه سيارته المدرسة ، وهي تعود بهما إلى المنزل ، وهناك خاب أملهما في عودة السيارة ، فلم يكن هناك سوى عدد من رجال الشرطة ، وكان من الواضح أن السيارة لم تعد بعد ..

أسرعا يصعدان في السلم إلى منزلهما ، حيث وجد اللواء (مندور) ، فأسرعا يصفحانه ، واستقبلهما هو باسمًا ، وأجلسهما إلى جواره ، قائلاً :

— ها هي ذي مهمة جديدة تحتاج إلى عبقريتكما ، أيها الشرطيان الصغيران .

سأله (غلا) في لهفة واهتمام :

— ما الذي توصلتم إليه حتى الآن يا سيدي ؟
هزَّ اللواء رأسه أسفاً ، وقال :

— لا شيء — للأسف — يا صغيرتي .. لقد توصلنا إلى بعض نقاط ، ولكنها لم تحل اللغز بعد .
سأله (عماد) في اهتمام :

— مثل ماذا ؟

صمت اللواء (مندور) لحظة ، ثم قال :

— الشخص الوحيد الذي أدلى بشهادة مفيدة هو البواب ، فهو يقول : إنه قد استيقظ في الثالثة صباحاً على صوت ، خيَّل إليه أنه محرك سيارة ، وقبل أن يغادر فراشه لاستطلاع الأمر ، توقف صوت المحرك ، فعاد يكمل نومه دون أن يلقي نظرة خارجاً .

قالت (غلا) في دهشة :

— هذا يعني أن محرك السيارة ، دار لمدة لا تزيد على الدقيقة الواحدة !!

وافقها اللواء (مندور) بإيماءة من رأسه ، وقال :

— بالضبط يا صغيرى ، وهذا الوقت لا يكفى
لسرقة السيارة ، وإبعادها عن الحى تماما .

سأله (عماد) :

— أَلَمْ يشاهد أحد السيارة وهى تغادر الحى ؟

قال اللواء (مندور) :

— مطلقا .. حتى أن بواب الثيلا التى تقع على
ناصية الطريق ، كان ساهرا أمس ، وقال : إنه لم يشهد
أحدا منذ منتصف الليل سوى جاركم السيد (فهم) ،
فقد عاد إلى منزله فى الواحدة صباحا .

سأله العقيد (خيرى) متعجبا :

— من هو (فهم) هذا ؟ .. إننى لم أسمع عن جار لنا

يدعى كذلك !!

أسرعت (غلا) تحيب والدها ، قائلة :

— إنه جارنا الجديد يا والدى ، مستأجر الشقة

المفروشة المقابلة لمنزلنا .. صاحب السيارة ذات الغطاء

صارخ اللون .

قال الوالد ، وهو يمحّ شفتيه فى تأفف واضح :
— آه !! ذلك الغطاء صارخ اللون .. إنه يثير
أعصابى كلما وقع بصرى عليه ..

ضحكت (غلا) ، وقالت :

— ولكننا اعتدنا رؤيته ، حتى أننى سأصاب
بالدهشة ، إذا ما غادر الأستاذ (فهم) حينا ،
واختفت سيارته بغطائها الصارخ اللون .

قال اللواء (مندور) قاطعا الحديث :

— دعونا من الأستاذ (فهم) وسيارته ذات
الغطاء الملون ، ولنفكر معا فى حل لغز تلك السيارة
المسروقة .

قال (عماد) بعد فترة من التفكير :

— لن يمكننا تفسير الأمر بهذه السرعة يا سيادة
اللواء ، إننا نحتاج أنا وشقيقتى إلى وقت كاف للتفكير فى
الأمر .

ابتسم اللواء (مندور) ، وقال وهو ينهض :

— حسناً .. سأترك الليل بطوله لفريق (ع × ٢)
 للتفكير ، على حين أقوم أنا بعمل بعض التحريات
 اللازمة ، وإنهاء الإجراءات .
 واتسعت ابتسامته وهو يتأمل الصغيرين ، مردفاً :
 — ومن يدري ؟ .. ربما حقق فريق (ع × ٢) نصراً
 جديداً هذه المرة أيضاً ، وأوقع بذلك اللص
 السخيف .



٢ — مهمة ليلية ..

جلس (عماد) و (غلا) في شرفة حجرتيها هذه
 الليلة ، وقد عجزا عن جلب النوم إلى عيونهما
 الصغيرة ...
 كان الصمت يلفهما ، وهما يفكران في حلّ اللغز ،
 ويقلبان المعلومات الضئيلة لديهما على كل الوجوه ،
 ومرّت فترة طويلة من الصمت ، قبل أن تقول (غلا)
 في ضيق واضح :
 — يا للأستاذ (فهم) !! إنه يتعمّد إثارة أعصابنا
 أكثر مما لدينا .
 سألها (عماد) في دهشة :
 — وما علاقة الأستاذ (فهم) بالأمر ؟
 أجابته في حدة :
 — إنه لم يغادر المكان بسيارته طوال اليوم ، وقد
 تركها مغطاة بذلك الغطاء الصارخ الألوان .

ضحك (عماد) ، وهو يقول :

— دَعَكَ مِنَ المَاحِكَةِ .. إِنَّ الأُسْتَاذَ (فَهيم) قَلَمًا
يُستَخدَم سيارته ، وهى تقف هناك بغطائها طول الوقت
تقريبًا ، ولكن عدم توصُّلك إلى الحَلِّ ، هو ما يثير
أعصابك ، وليس غطاء السيارة .. إنك تحتفين خلف
هذه الحجة .

حَدَّجَتْهُ بنظرة غاضبة ، وعادت تلوذ بالصمت ،
فقال هو فى اهتمام :

— دَعِينَا نبحث الأمر فى هدوء يا (غُلا) ، إن أقوال
الشاهد الوحيد عن الحادث ، تؤكد أن محرك سيارتنا لم
يدر أكثر من دقيقة .. فماذا يعنى هذا ؟
أسندت رأسها الصغير إلى ساعديها ، اللذين توسَّدا
حاجز الشُّرفة ، وغمغمت .

— ربما جذبها اللَّصُّ خلفه بواسطة سيارة أخرى .
هَزَّ (عماد) رأسه نفيًا ، وقال :
— هذا لا يبدو لى منطقياً ، فلو حدث ذلك ،

لسمع بَوَّاب العمارة صوت السيارة الأخرى على الأقل
قالت (غُلا) فى سخط :

— هل تبَحَّرت إذن ؟ .. هناك ثلاث سيارات
أخرى من نفس طرازها فى الحى ، لماذا اختار السارق
سيارتنا بالذات ؟

عقد (عماد) حاجبيه الصغيرين ، وقال :
— ليس هذا وقت مناقشة سبب اختيـاره
لسيارتنا .. إنه القدر ، كان من الممكن أن يسرق سيارة
الأستاذ (حسين) ، أو سيارة الأستاذ (فتحى) ..
أو

وفجأة توقَّف (عماد) عن متابعة الحديث ،
وغمغم فى لهجة ذات مغزى :

— يا إلهى !! إن السيارة لم تغادر الحى .
استدارت إليه (غُلا) فى حِدَّة ، وسألته فى
انفعال :

— لَمْ تغادر الحى ؟! .. فيمَ تفكَّر يا (عماد) ؟

أجابها وهو يطلّ على الحىّ من الشرفة في اهتمام :
— أفكر في أن الأستاذ (حسين) يبدّل سيارته
كثيراً ، وأنه يمتلك (جراحاً) خاصاً أسفل منزله .
تألّقت في عينيها نظرة حماسية ، وهتفت :
— يا إلهي !! لقد فهمت ما تقصده يا (عماد) ،
هل نخبر والدنا ، أو سيادة اللواء (مندور)
باستنتاجنا ؟

عاد يتأمّل الحىّ ، وهو يقول في هدوء وثقة :
— ليس قبل أن نتأكّد مما توصلنا إليه يا (علا) .
سألته في دهشة :
— وكيف يمكننا هذا ؟
أجابها في هدوء :
— لا بدّ لنا من القيام بمهمة ليلية .. مهمة سرّية
للغاية .

كانت عقارب الساعة قد تجاوزت منتصف الليل
بقليل ، عندما تسلّل (عماد) و (علا) من منزلهما ،
دون أن يشعر والدهما ..
كانت (علا) تسير خلف (عماد) في هدوء ،
وهي تقول في صوت خافت :
— سيفضّب والدنا إذا علم بما نفعل .
همس (عماد) ، وهو يقترب من الجراج الخاص
بالأستاذ (حسين) :
— لا بدّ لنا من التأكد أولاً ، وإلا سخر الجميع من
استنتاجنا هذا .
حرّكت (علا) رأسها ، وهي تقول في أسف :
— لن يمكنك أن تتصوّر كيف سأصاب بخيبة
الأمل ، لو صحّ استنتاجنا .
استدار إليها (عماد) في دهشة ، فأردفت :
— الإنسان يعتاد جيرانه ، حتى ليدهشه أن يخالفوا
الصورة التي اعتادها .

توقّف (عماد) فجأة ، وارتفع حاجباه في شكل عجيب ، ثم لم يلبث أن قبض على ذراع أخته في قوة ، وهتف :

— يا إلهي !!.. لقد وضّحت عبارتك الأمر بأكمله يا (غلا) .

سأله (غلا) في لهفة :

— ماذا وضّحت عبارتي يا (عماد) ؟

قال (عماد) في لهجة تنم عن السعادة :

— لصُ السيارات هذا ذكي للغاية ، ولكنه لم

ينجح في خداع فريق (ع × ٢) .

ثم أشار إلى مكان ما ، وقال :

— إن سيارتنا هناك يا (غلا) :

تطلّعت (غلا) إلى حيث أشار في دهشة ، ثم لم

تلبث أن فهمت كل شيء بدورها ، فهتفت :

— يا إلهي !! هذا صحيح .. لقد فهمت الأمر

كله .

وفجأة سمعا من خلفهما صوتًا أجشًا ، يقول في شراسة :

— الآن تذكّرت أين رأيتهما من قبل .

استدارا إلى مصدر الصوت في فرع ، فطالعتهما

عيون تنطق بالشرّ ، استطرد صاحبها قائلاً :

— أنتما الطفلان اللذان يعاونان الشرطية .. مرحي

يا صغيري ، إنها مهمتكما الأخيرة .



٣ - اختطاف ..

ساد الصمت لحظة بعد عبارة صاحب العينين الشريرتين ، ثم استجمع (عماد) شجاعته ، وقال :
— لقد كشفنا لعبتك يا لص السيارات .. لقد وقعت .

ضحك الرجل في سخرية وشراسة ، وقال :
— ليس بعد يا صغيرى ، هذا يفوق عمرك كثيرا .
وفجأة انتزع الرجل من سترته مِدية ، شهرها في وجه الصغيرين ، وهو يقول :
— لن يجد أحدا ما يكفى من الوقت لإخبار الآخرين .

كانت عينا الرجل تنطقان بالشر ، ولكن (عماد) و (غلا) لم يخافاه ، بل هتف (عماد) وهو يتحرك فجأة :

— اجرى يا (غلا) .. حاولي إبلاغ والدنا .
أطلقت (غلا) ساقها للرياح ، على حين تجاهلها الرجل ، وقفز نحو (عماد) ، الذى انزلق بين ساقيه ، وأخذ يجرى فى اتجاه مضاد لأخته ..

تساءلت (غلا) فى دهشة عن عدم متابعة الرجل لها ، خاصة وأنها تعدو نحو المنزل ، ولكن تساؤلها لم يطل ؟ إذ وجدت نفسها فجأة بين ذراعين قويتين ، وسمعت صوتا غريبا ساخرا يقول :
— إلى أين أيتها الصغيرة ؟

صرخت (غلا) بكل قوتها ، وهى تقاوم الرجل الضخم بجسدها الصغير ، ولكن الرجل أغلق فمها بكفه فى قوة ، فى نفس الوقت الذى كان فيه الرجل الآخر يطارد (عماد) فى شراسة ..

دار (عماد) حول إحدى السيارات ، وقفز محاولا الاختباء خلف أخرى ، ولكن الرجل أمسك بعنقه فى اللحظة ذاتها ، ثم صفعه فى قوة ارتج لها جسده الصغير ..

صرخ (عماد) :

— أيها المتوحش .

ولكن الرجل أطبق براحتيه على عنق (عماد) في قسوة ، وشعر بطلنا الصغير بحاجته الشديدة إلى الهواء ، واختنق وجهه وهو يحاول مقاومة الاختناق ، ولكن الرجل هوى على عنقه بضربة قاسية ، أفقدت (عماد) وعيه ..

جحظت عينا (غلا) وهي ترى الرجل يحمل شقيقها إلى إحدى السيارات ، فينزع غطاءها ، ويلقى (عماد) داخلها في قسوة ، ثم يلتفت إلى الرجل الذي يشل حركتها ، ويقول في صرامة :

— أحضر الفتاة أيضا ..

أطبقت (غلا) بأسنانها على يد الرجل الضخم ، الذي صرخ بقوة ، فأفلتت من يده على الرغم منه ، وانطلقت تجري نحو منزلها ، دون أن تلتفت وراءها ، وارتجف قلبها وهي تسمع صوت سيارة تنطلق مبتعدة ،



أطلقت (غلا) ساقها للرياح ، على حين تجاهلها الرجل ، وقفز نحو (عماد) الذي انزلق بين ساقيه ..

ولكنها لم تتوقف ، وواصلت عدوها إلى المنزل ، حيث
أخذت تصعد في سلم منزلها في فرع وسرعة ، وهى
تصرخ باسم (عماد) فى لوحة وأسى ..
وفجأة وجدت نفسها بين ذراعى رجل آخر ،
فأطلقت صرخة مدوية ، وغابت عن الوعي .

انطلقت السيارة التى اختطف (عماد) وسط
شوارع القاهرة الخالية ، فى مثل هذا الوقت المتأخر ،
وبدا هو فى استعادة وعيه ، عندما كانت السيارة تعبر
جسراً صغيراً ، فى منطقة شبه مهجورة ..
تساءل (عماد) فى البداية عما حدث ، ثم لم يلبث
أن تذكر كل شيء ، فتظاهر بأنه لم يستعد وعيه بعد ،
وفرّج جفنيه قليلاً ، يتأمل الطريق الذى تسير فيه
السيارة ..

كان المكان غير مألوف له ، وتتم معالمة عن أنه يقبع
فى إحدى الضواحي البعيدة فى أطراف المدينة ، ولما

كشف (عماد) عجزه عن معرفة المكان ، عاد يغلق
عينه ، ويصفى لحديث الرجلين ، اللذين اختطفاه ..
كان أحدهما يقول للآخر :

— ستقصّ عليهم الفتاة كل شيء أيها الزعيم .

قال الرجل الذى يدعونه بالزعيم :

— لتقصّ ما يحلو لها .. ليس لديها دليل واحد .

شعر (عماد) بالارتياح وهو يستمع إلى هذا
الحديث ، فقد تبين منه أن شقيقته قد نجت من مخالب
هذين الوغدين ، وعاد يصفى إلى حديث الرجلين ، فقد
كان الرجل الضخم يقول :

— لن يمكنك العودة أيها الزعيم .. أليس كذلك ؟

بدا صوت الزعيم ساخراً وهو يحياه :

— ولم لا ؟! .. إن عدم عودتى هو إقرار بالذنب ،

واعتراف بالجريمة .

قال الرجل الضخم فى ارتباك :

— ستعود إذن ؟

أجابه الزعيم في ثقة :

— بالطبع يا (مدبولي) .. سأعود إليهم ، ولن
يجرؤ أحدهم على اتهامى ، حتى ولو تحدثت تلك
الصغيرة المأفونة .

التقط (عماد) هذه المعلومة الجديدة ، واحتفظ
بها في ذاكرته ..

إذن فالرجل الضخم يدعى (مدبولي) ، وهو
يعرف الزعيم جيّداً ..

لقد كان استنتاجه سليماً .. إنه يعرف الآن كيف
اختفت سيارتهم ..

توقّفت السيارة أمام مبنى قديم شبه متهاك ، وقال
الزعيم ، وهو يشير إلى المقعد الخلفى للسيارة ، حيث
وضعوا (عماد) المتظاهر بفقدان الوعي :

— احتفظ بالصبي هنا ، حتى أرى ماذا يكون
بشأن الفتاة .

سأله (مدبولي) بلهجة رجل اعتاد الإجرام :

— هل نتخلص منه ؟

صمت الزعيم لحظة ، وكأنه يفكر في الأمر ، ثم
قال :

— احتفظ به فقط ، حتى أقرر ما يكون بشأنه .
فتح (مدبولي) باب السيارة المجاورة له ، ثم دار
حولها ، وفتح الباب المجاور لـ (عماد) ، وجذبه إلى
الخارج ..

كانت هذه هى الفرصة التى ينتظرها (عماد) ؛
فلم يكد (مدبولي) يفتح باب السيارة ، ويجذبه إليه ،
حتى قفز (عماد) فجأة من بين ذراعيه ، وانطلق يجرى
مبتعداً عن السيارة ..

صرخ الزعيم في ذعر :

— إالحق بهذا الشيطان الصغير يا (مدبولي) ، لو
أمكنه الهرب فسينتهى كل شيء ، فقد عرف مخبأنا .
انترع (مدبولي) مُدْبِتَةً ، وانطلق يعدو خلف
(عماد) فى وحشية وإصرار ، على حين أشعل الزعيم
سيجاره ، نفث دخانها فى الهواء ، وقال فى عصبية :

— هذا الطفل الغبي يضيع وقتنا بمحاولته السخيفة
هذه ، ولن يمكننى الانتظار طويلاً ، وإلا ضاعت
الخطّة التى أعدّتها .

عاد ينفث دخان سيجارته فى عصيّة ، وهو يرقب
(مدبولى) ، الذى اختفى خلف كومة من إطارات
السيارات خلف (عماد) ..

كان (عماد) يعدّو بكل ما تملكه ساقاه الصغيرتان
من قوة .. كان الخوف يدفعه إلى إطلاق ساقيه للرياح ..
على حين انطلق (مدبولى) خلفه فى شراسة وإصرار ..
لمح (عماد) حقلاً قريباً ارتفعت فيه سنابل
القمح ، فأسرع نحوه ، وقد وجد فى سنابله المتقاربة
الكثيفة مخبأ مثاليًا ..

كانت ساقا (مدبولى) أقوى وأكبر ، وخطواته
أوسع ، وأخذت المسافة بينه وبين (عماد) تقصر
تدريجياً ، حتى كادت كفّه تقبض على عنق (عماد) ..
جمع (عماد) كل ما تبقى له من قوة فى جسده

الصغير ، وقفز داخل حقل القمح ، ثم لم يلبث أن توارى
وسط سنابله الكثيفة ..

توقّف (مدبولى) لحظة فى تردّد ، وعقد حاجبيه
الغليظين ، وهو يغمغم فى شراسة :

— يا للشيطان الصغير !!

حاول أن يبحث ببصره عن (عماد) وسط سنابل
القمح .. ولكن الظلام منعه إجادة الرؤية ، فجعل
يصرف على أسنانه فى غيظ ..

حبس (عماد) أنفاسه ، وتسارعت نبضات قلبه
الصغير فى عنف ، وهو يحاول ألا يحرك ساكناً ، حتى لا
ينتبه (مدبولى) لوجوده ..

لم يكن يدرى أين يمكنه أن يذهب إذا ما نجح فى
الهرب ، فقد كانت المنطقة غريبة تماماً بالنسبة إليه ،
وحاول أن يطرد هذه الأفكار من ذهنه ، عندما سمع
صوت خطوات (مدبولى) ، وهو يقتحم حقل
القمح ، ويطأ سنابله فى لا مبالاة بحثاً عنه ..

كاد قلب (عماد) يتوقّف ، عندما خطا
 (مدبولي) على بعد سنتيمترات قليلة منه ، ثم توقّف في
 مواجهته تمامًا وهو يبحث عنه في الاتجاه المضاد ..
 شعر (عماد) بخوف شديد ، فلو استدار
 (مدبولي) نصف دورة فقط ، لوقع بصره عليه ..
 كان كل ما يتمناه (عماد) في هذه اللحظة ، هو
 ألا يصدر صوتًا يجذب انتباه (مدبولي) ..
 تصلّب كالتمثال ، وعيناه معلقتان بالرجل ، وفجأة
 شعر بجسّد دافئ زلق يزحف فوق كفّه ، فارتجف
 جسده ، واتسعت عيناه ذعرًا وهو يميل برأسه ينظر إلى
 ذلك الشيء وكاد قلبه يتوقّف حينما رآه ، فقد كان ذلك
 الشيء حيّة من النوع السّام .



حاول أن يبحث ببصره عن (عماد) وسط سنابل القمح ..

٤ - المجرم ..

تجمّدت أطراف (عماد) ، وشعر أن الدماء قد فارقت جسده وهو ينظر إلى الحيّة في فرع .. كانت الحيّة تزحف في هدوء فوق كفّه ، وتذكر هو في هذه اللحظة ما قرأه ذات مرة ، في واحدة من القصص البوليسية التي يعشقها .. كانت هناك معلومة تقول : إن الثعابين لا تهاجم ، وتنفث سُمّها إلا عند الشعور بالخطر ..

إنه يذكر أن بطل الرواية البوليسية التي قرأها قد تعرّض لموقف مشابه ، فتسمّر في مكانه ، وحرص على ألاّ تبدر منه أيّة حركة ، حتى ابتعد الثعبان عنه دون أن يؤذيه ..

تساءل في قرارة نفسه : لم لا يتبع الأسلوب نفسه ؟ فكم أنفاسه ، وظلّ ساكناً يراقب الحيّة ، وذيلها يزحف

فوق كفّه في هدوء حتى تجاوزته ، وأخذت تزحف فوق أرض الحقل مبتعدة عنه ، ومتوارية وسط السنابل الصفراء .

ظل (عماد) كاتمًا أنفاسه حتى ابتعد صوت زحف الأفعى ، فاطمأن إلى نجاته ، وتنهد في ارتياح .. كان هذا هو الخطأ الذي ارتكبه ، إذ وصل صوت التنهيدة إلى (مدبولي) ، الذي استدار في حدّة ، ورأى (عماد) ، فقفز نحوه في حركة خاطفة ، وأحاط جسده الصغير بذراعيه .. وحاول (عماد) أن يقاومه في يأس ، وهو يصرخ :

— أيها المجرم .. أيها المتوحّش .

أطلق (مدبولي) ضحكة ساخرة ، وهو يسرع به إلى حيث وقف الزعيم ينتظر ، ولم يكد هذا الأخير يلمح (مدبولي) عائداً بحمله الثمين ، حتى تنهد في ارتياح ، وقال :

— ضعه في المخزن ، ولا تسمح له بتكرار محاولته ..
وضع (مدبولي) (عماد) داخل المخزن في قسوة ،
ثم أغلق بابه ، ووضع فوقه قفلاً ضخماً ، واستدار إلى
زعيمه متسائلاً :

— أما زلت تصرُّ على العودة أيها الزعيم ؟

ابتسم الزعيم في ثقة ، وقال :

— بلا شك يا (مدبولي) .

سأله (مدبولي) وهو يشير إلى المخزن :

— وماذا عن الصبي ؟

ركب الزعيم سيارته ، وقال في هدوء :

— احتفظ به حتى أعود ، ثم اقتله .

استعادت (غلا) وعيها في بطاء ، وتطلَّعت حولها
في دهشة ..

كانت ترقد في ردهة منزلها ، وقد امتلأ المكان حولها
برجال الشرطة ، مِيَّزَت وسطهم والدها ، واللواء
(مندور) ، الذي سألها في هدوء :



وصل صوت التنهيدة إلى (مدبولي) ، الذي استدار في حدة ، ورأى
(عماد) فقفز نحوه في حركة خاطفة ، وأحاط جسده الصغير بذراعيه ..

— حمدًا لله على استعادتك وعيك يا صغيرتي .. أين
(عماد) ؟

انفجرت (غلا) بالبكاء ، وهى تصرخ قائلة :
— لقد اختطفه المجرمون ، خطفه لص السيّارات .
صاح والدها ، واللواء (مندور) فى دهشة :
— لص السيّارات !؟

أرادت أن تشرح الأمر ، لولا أن سألها والدها فى
جدّة :

— ماذا كنّا تفعلان خارج المنزل فى مثل هذا
الوقت ؟

صاحت فى حزن وسرعة :

— كنّا نحاول البحث عن إثبات لاستنتاجنا ، حينما
هاجمنا المجرم ، واختطف (عماد) ، وحاول أحد رجاله
اختطافى أيضًا ، ولكنى نجحت فى الإفلات ، وأسرعت
إلى هنا ، ولكن أحدهم اعترضنى و
قاطعها الوالد ، قائلاً :

— إنه أنا يا (غلا) .. لقد سمعت صراخك من
الشارع ، فقفزت من فراشى ، وأسرعت إلى هناك ، وفى
أثناء هبوطى درجات السلم ، وجدتكَ تصعدين فى
فرع ، فأخذتك بين ذراعى ، وإذا بك تفقدين
الوعى .

انخرطت الوالدة فجأة فى بكائها ، وهى تغمغم فى
لوعة :

— اختطفوا ابنى ، يا ويلتاه !!
شعر رجال الشرطة بالأسف ، وعقد اللواء
(مندور) حاجبيه ، وقال :

— سيعود يا سيّدتى .. أقسم لك .

ثم التفت إلى (غلا) وسألها :

— تقولين : إنك قد هبطت أنت وشقيقك ،
لإثبات صحة استنتاجكما .. فهل توصلتما إلى شخصية
لص السيّارات ؟

هتفت (غلا) فى انفعال :

— نعم يا سيدي .. لقد توصلنا إليه ، ولا ريب أنه
سيعود إلى هنا بسيارته ، حتى لا يُعدَّ هروبه اعترافاً
بجريمته .

صاح أحد رجال الشرطة في حماس :

— يا إلهي !! هذا صحيح .. لقد عاد السيد
(حسين) جاركم بسيارته منذ دقائق ، ولقد أدهشني
هذا حقاً ، فلقد تجاوزنا الفجر بضع لحظات فقط .
التقت عينا اللواء (مندور) بعيني العقيد
(خيرى) ، ثم هتف الأخير :

— لقد فهمت .. إن جارنا (حسين) هو
السارق ، إنه يسرق السيارات ، ويحتفظ بها في جراج
قيلته .. ياله من ماكر !!
هتفت (غلا) في استنكار :

— كلاً يا والدي .. هذا ماظناه في البداية ، ثم
كشفنا أن السيارة لا تختفى داخل الجراج ، وإنما
بتر عبارتها صوت جاء من ناحية باب المنزل ، يقول
في هدوء :

— صباح الخير أيها السادة ، هل يزعجكم قدومي
في هذا الوقت المبكر ؟

التفت الجميع إلى باب المنزل يتطلعون إلى الرجل
الواقف هناك ، على حين ظهر الغضب في عيني
(غلا) ، وأشارت إلى الرجل في انفعال وهي تهتف :
— ها هو ذا .

تطلع الجميع إلى الرجل الذي شاركهم دهشتهم ،
وسألها والدها :

— ماذا تعنين يا (غلا) ؟

صاحت (غلا) في إصرار :

— هذا هو المجرم الذي سرق سيارتنا ، واختطف
أخي (عماد) .

٥ - الاتهام ..

ساد صمت مشوب بالدهشة والغضب ، والتقت
كل العيون عند الرجل الواقف بالباب ، الذى قطع حبل
الصمت ، قائلاً فى غضب :
— ماذا تقولين أيتها الصغيرة ؟ هذا ينم عن سوء
الخلق .

صاحت (غلا) فى عناد :
— لست سيئة الخلق ، أنت المجرم يا سيّد
(فهم) .

صاح الوالد فى دهشة :

— (فهم) ؟!

ثم اقترب من الرجل ، وسأله فى حدة :
— أنت صاحب تلك السيارة ذات الغطاء الزاهى
الألوان ؟!

أجابه الرجل فى ضيق :

— كنت صاحبها .

غمغم اللواء (مندور) فى دهشة ، وتساؤل :

— كنت ؟!

أجابه الأستاذ (فهم) فى غضب :

— نعم يا سيادة اللواء ، كنت صاحبها ، فلقد

حضرت فى هذا الوقت المبكر ؛ لأننى شاهدت سيارات
الشرطة تملأ الشارع ..

ثم استطرد ، وهو يحرج (غلا) بنظرة ساخطة :

— حضرت أبلغ عن سرقة سيّارتى .

صاحت (غلا) فى غضب ، وإصرار :

— أنت كاذب .

التفت الأستاذ (فهم) إلى العقيد (خيرى) ،

وقال فى غضب :

— مُر ابتك بالتزام الصمت يا سيادة العقيد ، فلن

أحتمل إهاناتها طويلاً .

نظر العقيد (خيرى) فى عينيه مباشرة ، وقال فى صرامة :

— إنها تتهمك بسرقة سيارتنا ، واختطاف ابنى يا سيّد (فهميم) .

لّوح (فهميم) بكفه ، قائلاً :

— هراء .

اندفعت (غلا) تقول فى غضب :

— ليس هراء يا سيّد (فهميم) ، لقد قال بواب

العمارة : إنه سمع صوت محرك سيارتنا يدور دقيقة واحدة ، ثم لم يلبث أن توقّف ، وهذا يعنى أن سيارتنا لم تتحرك إلا دقيقة واحدة ، وهذا الوقت لا يكفى لأن تغادر السيارة الحى ، ولكنه يكفى لإخفائها .

ابتسم (فهميم) فى سخرية ، وقال :

— وكيف يمكننى أن أخفيها خلال دقيقة واحدة

يا صغيرتى ؟ .. فى حقيبتى ؟

صاحت (غلا) :

— كلاً يا سيّد (فهميم) ، ولكن يمكنك أن تخفيها

أسفل غطاء سيارتك الزاهى الألوان .

ارتسمت الدهشة فى وجوه الحاضرين ، وغمغم (فهميم) فى سخط :

— ما هذه السخافة ؟

استدارت (غلا) إلى والدها واللواء (مندور) ، وقالت فى انفعال :

— لقد تعمّد الأستاذ (فهميم) اختيار ذلك الغطاء الصّارخ الألوان لسيارته ، ثم تعمّد تركها أمام أعين الجميع معظم الوقت ، وهكذا حقق هدفين فى آن واحد .. فسيارته تحت غطائها ستكون مميزة للغاية ، ولكن تلك الألوان الزاهية ستصبح مألوفة مع الوقت .. وهكذا اعتاد الجميع رؤية السيارة واقفة بغطائها الصارخ ، فلم تعد تلفت انتباه أحد .. ولقد عاد الأستاذ (فهميم) بدون سيارته ليلة السرقة ، بدليل أن بواب القيلًا عند ناصية الحى تعرّفه بسهولة .

غمغم (فهم) في غضب :

— هذا لا يثبت شيئاً .. من حق أى إنسان أن
يجول على قدميه .

صاحت (غلا) :

— بل يثبت الكثير يا سيد (فهم) .. لقد غدت
بدون سيارتك ؛ لأنك كنت تنوى سرقة سيارتنا في الليلة
نفسها .

هتف الوالد :

— ماذا تقولين يا (غلا) ؟

استدارت (غلا) إلى والدها ، وقالت :

— تذكر يا والدى أن سيارته كانت تحت غطائها
الزاهى الألوان صباح الحادث ، فمتى وصلت إذا كان
قد عاد بدونها .. إن تلك السيارة التى تغطت بالغطاء
الصارخ يومها كانت سيارتنا لا سيارته .

صاح اللواء (مندور) :

— يا إلهى !! لقد فهمت كل شئ .

ثم التفت إلى العقيد (خيرى) ، متابعاً :

— ولداك عبقریان بالفعل يا سيادة العقيد ، إن
(غلا) تقصد أن السيد (فهم) قد عاد هذه الليلة ،
تاركاً سيارته فى مكان آخر ، وانتظر حتى الثالثة صباحاً
حيث يخلو الشارع من المارة ، ثم تسلل إلى سيارتك ،
وفتحها بتلك الوسائل المعروفة فى عالم اللصوص ، ربما
باستخدام مفتاح مُقلد أو بتحطيم قفلها ، وأوصل
سلكى المحرك ، وأداره ليقود السيارة مدة دقيقة
واحدة ، من حيث تقف إلى حيث اعتاد ترك سيارته فى
الليل ، وهناك وضع فوق سيارتك غطاء سيارته المميز ،
وتركها وصعد إلى شقته لينام ملء جفنيه .. ولما كان
منظر سيارته المغطاة بغطاء زاهى الألوان قد صار
مألوفاً ، فإن أحداً لن يحاول البحث عن سيارتك تحت
نفس الغطاء .

صاح العقيد (خيرى) فى دهشة :

— يا لها من فكرة ، تجمع بين البساطة والجرأة !!

مطّ اللواء (مندور) شفتيه ، وقال :

— ولكن الله (سبحانه وتعالى) يقف لأمثال هذا
المجرم بالمرصاد ، فعلى الرغم من ذكاء الفكرة نجح ولداك
في كشفها .

قال (فهم) في غضب :

— ماذا أصاب العالم ؟.. أتيت أبلغ عن سرقة
سيارتي ، فتتّهمونني بالسرقة ، وبدون دليل واحد !!
ساد الصمت فجأة في الحجرة ، وكشف الجميع
أنهم لا يملكون دليلاً واحداً يدين (فهم) ، وفي نفس
الوقت صاحت الأم ودموعها تملأ خديها :

— أنا لا أريد السيارة ، أريد ابني المخطوف .

برقت عينا اللواء (مندور) ، وكأنه تنبّه إلى نقطة
ما ، فالتفت إلى (غلا) وسألها في اهتمام واضح :

— هل رأيت وجه الرجل الذي اختطف شقيقك

يا (غلا) ؟

تردّدت (غلا) لحظة ، وقالت :

— لقد كان الشارع مظلماً ، ولكنني أعتقد
أنه

قاطعها (فهم) صائحاً :

— تعتقدين ؟!.. هل تتّهمون الناس لمجرد أن طفلك
صغيرة تعتقد شيئاً ما ؟

غمغم العقيد (خيرى) فى أسف :

— هذا صحيح .. ثم إنه لا بدّ لنا من استجواب
الأستاذ (حسين) أيضاً .

التفت اللواء (مندور) إلى أحد رجال الشرطة
وقال :

— أحضر السيّد (حسين) .

ضربت (غلا) الأرض بقدميها ، وقالت فى
غضب :

— إنكم تضيعون وقتكم .. إنه هو المجرم .

صاح والدها فى استنكار :

— (غلا) .

عقدت حاجبيها الصغيرين في غضب ، وأسرعت
إلى حجرتها وشقيقها ، وأغلقت الباب خلفها في قوة .

وقف الأستاذ (حسين) مرتبكاً أمام رجال
الشرطة ، وقال مجيباً عن السؤال الذى وجهه إليه اللواء
(مندور) :

— إننى محام كما تعلمون ، ولقد اتصل بى عميل
مجهول ، وطلب منى مقابلته للضرورة القصوى ،
وقال : إن الأمر بالغ الخطورة ، وإنه مسألة حياة
أو موت ، فأسرعت لمقابلته فى المكان الذى حدده ،
ولكنه لم يحضر ، فعدت إلى هنا .

سأله اللواء (مندور) :

— هل لديك شاهد على ما تقول ؟

هز الرجل كتفيه ، وقال :

— زوجتى فقط ؛ إذ استيقظت معى على رنين

الهاتف فى الثالثة صباحاً .

ضحك (فهم) فى سخرية ، وقال :

— دُعك من كل هذا الخداع يا سيّد (حسين) ،

لقد سرقت السيارة ، وأخفيتها فى جراج قبيلتك ، وعندما
كشفها الصغيران اختطففت الصبى ، وذهبت به
والسيارة إلى حيث تخفى مسروقاتك ، ثم عُدت إلى هنا
و....

وفجأة قاطعه صوت صغير يقول :

— أنت كاذب يا سيّد (فهم) .

استدار الجميع إلى مصدر الصوت ، وتراجع
(فهم) فى ذهول ، على حين هتف الوالد واللواء
(مندور) معاً فى دهشة :

— (عماد) ؟!

٦ - الهروب ..

تطلّع الجميع إلى (عماد) في ذهول ، فقد كان يتقدم من (فهم) ، على حين تراجع هذا الأخير وهو يهتف :

— هذا مستحيل .. مستحيل ..

قال (عماد) في غضب :

— ما هو المستحيل ؟ هل تقصد نجاحي في الهروب يا لصّ السيارات ؟

لم تتحرك الأم مطلقاً ، ولم تندفع نحو صغيرها كما كان مفروضاً ، بل اكتفت بالتحديق في وجهه بدهشة ، على حين واصل (فهم) تقهقره ، صائحاً :

— هذا مستحيل .. أنت تحتاج إلى ساعة كاملة للوصول إلى هنا و

وبتر عبارته فجأة ؛ فقد انتبه إلى زلّة لسانه ،

وتلفت حوله ليرى العيون كلها تحدّق في وجهه بغضب ، وسمع اللواء (مندور) يقول في صرامة :

— هذا اعتراف صريح يا (فهم) .

ظهر الذعر في عيني (فهم) ، وتحركت يده نحو سترته في سرعة ، وانتزع منها مسدساً صوّبه إلى رجال الشرطة صائحاً :

— إنكم لن توقعوا بي ، لن يُوقع بي طفلان .

قال اللواء (مندور) في صرامة :

— إنّ تصويب مسدس إلى رجال الشرطة ، جريمة

لا تغتفر يا (فهم) .

وفجأة تحرك أحد رجال الشرطة ، وركل المسدس الذي يمسك به (فهم) ، ثم لكمه لكمة أوقعته أرضاً ، ولم يكد ينهض حتى رأى مسدسات الشرطة مصوّبة إلى رأسه ، وسمع اللواء (مندور) يقول في هدوء لا يخلو من الحزم :

— هيا يا لص السيّارات .. هأنذا أستمع إلى
اعترافاتك التفصيلية .

أسرع الوالد نحو (عماد) ، وحمله بين ذراعيه ،
وهو يهتف في سعادة :

— ولدى الحبيب .. كيف نجحت في الهرب ؟ ..
هيا قبل والدتك ، فقد لوعها غيابك .
قالت الأم في هدوء :

— هذا ليس (عماد) يا (خيرى) ، إنها
(غلا) .

حدّق الأب في الصغيرة بدهشة ، ثم صاح :
— يا إلهى !! إنها حقًا (غلا) .. كيف فعلت
ذلك ؟

ضحكت (غلا) ، وقالت :

— هل نسيت يا والدى أننى و (عماد) توءمان ؟ ..
لقد قصصت شعرى ، وصففته بنفس الطريقة التى
يتبعها (عماد) ، فبدوت مثله تمامًا .

اتسعت عينا (فهم) ذهولاً ، وغمغم فى سخط :
— أنت لست ذلك الشيطان الصغير إذن .
ثم قفز من مقعده فجأة ، صارخاً :

— يا للعار !! .. هل خدعتى طفلة ؟ !
واندفع نحو (غلا) وقد أعماه الغضب ينشد
الفتك بها ، ولكن والدها العقيد (خيرى) اعترض
طريقه ، ولكمه لكمة قوية ألقت به أرضاً .. ثم احتضن
ابنته فى حنان ، وقال فى صرامة :

— من الأفضل لك أن تعترف بالهزيمة ، وتدُلنا على
مكان (عماد) أيها اللص الوضيع .

ظهر العناد على ملامح (فهم) ، وقال :
— مُحال .. سيدفع الصغير ثمن فشلى .

صرخت الأم فى جزع .
أرجفت صرختها الملتاعة قلوب رجال الشرطة
الحاضرين ، وساد صمت ثقيل فى الحجرة ، ثم اتّجه
اللواء (مندور) إلى (فهم) ، وأمسك كتفه فى قوة

آلمته ، حتى إنه تأوّه ، ثم لم يلبث أن ارتجف ذعرًا ، حينما قال اللواء (مندور) في لهجة قاسية صارمة :

— اسمعنى جيّدًا أيها الحقير .. إن العقوبة القصوى لجريمة السرقة لا تتعدّى السجن لسنوات ثلاث ، أما لو أصاب الصغير مكروه ، فسأضمن لك أن تتدلى من حبل المشنقة . أيهما تفضّل ؟

شحب وجه (فهم) بشدة ، وزال عناده أمام صرامة اللواء (مندور) ، وظهرت الخيرة في ملامحه وهو يقول :

— ولكن (مدبولى) سيقتل الصبى ، لو كشف أننى قد وقعت .

تبادل رجال الشرطة النظرات ، ثم قال اللواء (مندور) في لهجة بدت هادئة :

— دَعْ هذا الأمر لنا ، أخبرنا فقط أين أخفيت الصغير ، وسنتولّى نحن الأمر .

دار (عماد) في أركان المخزن الذى سجنه فيه (مدبولى) ، وأخذ يتفحص كل جزء فيه ..

كان المخزن واسع الأركان ، على الجدران ، خاليًا إلا من بضعة إطارات مطاطية ، ووعاء مليء بالبنزين ، وبعض قطع متآثرة من أجزاء السيارات ، ولم يكن له إلا باب واحد ، ذلك الذى يجلس أمامه (مدبولى) ، ونافذة واحدة تعلو ثلاثة أمتار على الأقل .. وكانت هناك فكرة واحدة تلحّ على رأس (عماد) ، وهى أنه لا بدّ أن يحاول الهرب ..

تلقت حوله محاولًا البحث عن وسيلة ، حتى توقفت عيناه عند وعاء الوقود ، فنقل بصره إلى الإطارات المطاطية ، وقال :

— ليس أمامنا سوى إيجاد وسيلة لإشعال النار .
أسرع إلى وعاء الوقود ، فحمله في صعوبة نظرًا لحجمه الضخم ، ثم سكه فوق الإطارات المطاطية ، والتقط قطعة مسطحة قديمة من الخشب ، وأنبوسًا معدنيًا صغيرًا وهو يغمغم :

— سأحاول إشعال النار بالطريقة التي تعلّمناها في دروس الكشفية .

أمسك الأنبوب المعدني بين راحتيه ، ووضع طرفه على سطح القطعة الخشبية ، ثم أخذ يديره بين راحتيه في قوة ، حتى بدأ الدخان يتصاعد من القطعة الخشبية نتيجة الاحتكاك ، فأسرع ينفخ فيه ، حتى اشتعلت النار في قطعة الخشب ، فحملها في حرص ، وألقاها على الإطارات المبللة بالبنزين ..

لم تكد النيران تشم البنزين ، حتى دوت فرقة شديدة واندلع اللهب في الإطارات المطاطية ، وصرخ (عماد) بأعلى صوت :

— النجدة .. النيران تشتعل .

وصلت عبارته إلى أذن (مدبولي) الذي كان قادمًا .. يهرول بعد أن سَكَّ مسامعه صوت الفرقة ، فأسرع يفتح باب المخزن ، حتى يسرع بإطفاء النيران قبل أن تلتهمه ..

ولم يكد يفعل حتى مرق (عماد) من بين قدميه كالصاروخ ، وانطلق يجري بسرعة البرق ..

صرخ (مدبولي) في غضب ، حينما تبين خدعة (عماد) ، ثم أخرج مسدسه ، وصوبه إلى (عماد) صائحًا :

— سأقتلك أيها الشيطان الصغير .
ودوت في المنطقة صوت طلقة رصاص .



٧ - المطاردة ..

مرقت الرصاصة القاتلة فوق رأس (عماد) تمامًا ،
وأثارت في أعماقه مزيدًا من الخوف والفرع ، مما دفع
ساقيه الصغيرتين للانطلاق في سرعة مضاعفة ، وانطلق
خلفه (مدبولي) ، وهو يسبُ ساخطًا ، وارتفع صوته
الغاضب يصرخ :

— سأقتلك أيها الشيطان الصغير .

ارتفع أزيز رصاصة ثانية ، إلى جوار أذن (عماد) ،
الذي دفعه الفرع إلى القفز جانبًا ، فارتطمت
قدمه بإطار متهاالك ، وفقد توازنه ، وسقط على وجهه
وسط التراب الكثيف ..

قبل أن ينهض ليواصل هروبه ، أمسكت يد
(مدبولي) القوية بعنقه ، وسمعه يقول في غضب
وخشونة :

— انتهت المطاردة أيها الوغد الصغير .. إنها محطلة
الأخيرة .

دارت عيننا (عماد) في المكان بفرع ، بحثًا عن
مهرب ، ولكن (مدبولي) انتزعه من مكانه في قوة ، ودفعه
أمامه في قسوة ، وهو يقول :

— هل تظن أنك أذكى مني ؟

قال (عماد) في ضيق :

— وهل تحب أن تقارن نفسك بطفل مثلي ؟

أطلق (مدبولي) ضحكة ساخرة عصية ، وقال :

— طفل مثلك ؟! .. إنها أول مرة أرى فيها طفلًا

عنيذًا ، تفوق جرأته حجمه عشرات المرات .

قال هذا ودفعه أمامه في قوة ، فسقط (عماد) مرة

أخرى على وجهه ، وسمع (مدبولي) يقول في صرامة :

— انهض أيها الشيطان الصغير ، وإلا انتزعت فروة

رأسك ، لأجبرك على النهوض .

شعر (عماد) بغضب شديد يسرى في عروقه ، وقبض

كفه الصغيرة على حفنة من التراب ، ثم قفز واقفا على

قدميه ، وقذف بها في وجه (مدبولي) وعينيه ، فصرخ
هذا الأخير في ثورة :

— أيها الشيطان المخادع .

واندفع نحو (عماد) ، وقد قرّر خنقه يديه
العاريتين ..

التفت العقيد (خيرى) إلى (فهم) مرة أخرى ،
وقال في صوت قوى ، يجمع بين الصرامة والغضب :

— ألم تقرّر الاعتراف بعد أيها المجرم ؟

بدت خيرة شديدة في عيني (فهم) ، وارتجف
صوته ، وهو يقول :

— أنت لا تفهمنى أيها العقيد ، إننى لست زعيمًا
فعليًا لهؤلاء الرجال ، كل ما فى الأمر هو أنهم تركوا لى
مسئولية القيادة ، وهذا يختلف عن نظم الشرطة
والجيش ، فهم لن يطيعوا أوامرى ، إذا ما أحسّوا أنها
تعرضهم للخطر .



وقبض كفّه الصغيرة على حفنة من التراب ، ثم قفز واقفًا على قدميه ،
وقذف بها في وجه (مدبولي) وعينيه ..

قال اللواء (مندور) في حدة :

— إننا لا نطالبك بأن تطلب منهم التعاون معنا ،
كل ما نريد معرفته هو مكان الصغير .

هتف (فهم) في حق :

— مستحيل .. إنه ورقتي الوحيدة للنجاة .

جذبه اللواء (مندور) من سترته في خشونة ، وقال

في صوت يفيض بالحزم والصرامة :

— اسمعني جيدًا أيها المجرم الحقير .. لو أنك تتصور

أن احتفاظك بالصغير يمنحك الفرصة للنجاة ، فأنت

واهم .. فنحن لن نسمح لك بالإفلات أبدًا .

امتقع وجه (فهم) ، وحاول أن يتسم ، ولكن

ابتسامته بدت مضطربة شاحبة ، وهو يغمغم :

— إنكم لن تضحوا بالصغير .

صاح العقيد (خيرى) في غضب :

— أيها الوغد الحقير ، لو أنك

أوقفه اللواء (مندور) بإشارة من يده ، لينعه من

مواصلة حديثه ، ثم انحنى بوجهه نحو (فهم) ،
وقال في لهجة جمدت لها الدماء في عروق هذا الأخير :
— أنت مخطئ أيها المجرم .. إننا رجال شرطة ،
والواجب لدينا أمر مقدس ، لا يمكننا التنازل عنه أبدًا ،
ولا وجود للمساومة أو تبادل المنفعة في عملنا وعالمنا ،
وفي سبيل هذا الواجب سنضحي بأي شيء .
سأله (فهم) في صوت مضطرب :

— حتى الصغير ؟

أجابه اللواء (مندور) في حزم :

— حتى الصغير .

شحب وجه (فهم) بشدة ، حتى كاد يصبح في
لون القطن الأبيض ، ولوح بكفيه في الهواء ، وهو
يقول :

— إنك لا تفهمنى .. كلكم لا تفهموننى ..

لو أننى أخبرتكم بمكان الصغير ، فلن يعنى هذا نجاته ،

فلو شعر (مدبولى) باقترابكم ، أو بآية محاولة لإنقاذ

الصغير ، فلن يتردد في قتله ..

سقط قلب الأم بين قدميها ، وهي تغمغم في لوعة
وشحوب :

— ولدى !

رَبَّتْ العقيد (خيرى) على كتفها ، وهو يدارى
قلقه وحزنه الشديدين ، وكأنه يحاول أن يثبت فيها
طمأنينة يفتقر هو نفسه إليها ، فى حين واصل (فهم)
حديثه المتوتر ، قائلاً :

— ثم إن الرجال لن يغفروا لى ذلك ، وسيعملون
على قتلى انتقامًا من خيانتى لهم .

قال اللواء (مندور) فى صرامة :

— يمكننا حمايتك .

هتف (فهم) فى عصبية :

— ليس إلى الأبد .

ثم أردف فى صوت أقرب إلى البكاء :

— أنتم لا تعرفون طبيعة هؤلاء الرجال .. إنهم

لا يتأزلون عن انتقامهم أبدًا ، حتى ولو اضطروا

لانتظار خروجى من السجن .. سيقتلوننى إن عاجلاً
أو آجلاً .

ثم تعلّق بأحد رجال الشرطة ، وهتف فى ضراعة :
— أنتم تعرفون هذا .. أليس كذلك ؟

وفجأة .. وفى حركة سريعة ، اختطف (فهم)
مسدس رجل الشرطة ، وقفز إلى الوراء ، وهو يصوّبه إلى
الجميع ، صائحاً فى عصبية :

— سأطلق النار على أول من يتحرك منكم .. هل
تسمعوننى ؟ .. لن أتردد فى إطلاق النار .



٨ - الاعتراف ..

في الوقت الذي تدور فيه هذه الأحداث في منزل (عماد) و (غلا) ، كان (مدبولي) يندفع نحو (عماد) ، محاولاً اعتصار عنقه الصغير بيديه القويتين ، ولكن (عماد) لم ينتظر وصول (مدبولي) إليه ، واستغل تلك الغشاوة التي صنعتها حفنة التراب في عينيه ، فانحنى بجسده الضئيل في سرعة ، ومرق بين ساق (مدبولي) ، الذي ارتبك للمفاجأة ، فسقط أرضاً ، في حين انطلق (عماد) يعدو نحو المخزن ، وهو لا يدري أين يمكنه الذهاب ..

نهض (مدبولي) في غضب ، وقد أورثه خداع (عماد) المتكرر له ثورة هادرة ، جعلته يطلق رصاصته خلف (عماد) في جنون ، وأخطأت هذه الرصاصة (عماد) أيضاً ، فانطلق يدور حول المخزن ، محاولاً الاحتماء به ، أو البحث عن مهرب خلفه ..

وفجأة .. ارتطم برجل ضخم ، وأمسك به الرجل في قوة ، وقال في حدة :

— ماذا يحدث هنا ؟

رفع (عماد) عينيه إلى الرجل في ذعر ، ثم اتسعت عيناه في دهشة ، وعاد قلبه ينبض بالأمل ..
كان ذلك الرجل أحد خفراء المنطقة ، وبندقيته الحكومية مشهورة في يده .

تراجع (فهم) في توتر ، نحو باب المنزل ، وهو يصوب مسدس ضابط الشرطة إلى الموجودين ، وقال اللواء (مندور) ، وهو يتابعه في صرامة :

— إنك تضيف تهمة جديدة إلى جرائمك يا (فهم) .. فمقاومة رجال الشرطة جريمة لا يستهان بها .

هتف (فهم) في حدة :

— لم يعد أمامي ما أخسره .

قال العقيد (خيرى) في صرامة وبرود :

— بل بقى لديك الكثير أيها الوغد ، فستطول فترة
سجنك خلف القضبان .

صاح (فهم) في توثر :

— إننى على العكس أهرب من هذا المصير أيها
العقيد .

اكتست ملامح العقيد (خيرى) بجمود رهيب ،
وهو يتقدم نحو (فهم) بخطا ثابتة ، ويقول في هدوء :
— إنك لن تفلت أبدا .

تراجع (فهم) في دُعر ، أمام تلك النظرة المخيفة ،
المطلّة من عيني العقيد (خيرى) ، وارتعد صوته وهو
يقول :

— لا تواصل اقترابك منى أيها العقيد .. سأطلق
النار عليك لو فعلت .

هاله أن واصل العقيد (خيرى) اقترابه منه في
خطوات هادئة بطيئة ، غير مبال بالمسدس المشهور في
وجهه ، فصرخ في جنون :

— لا تقترب .. سأطلق النار .

قال العقيد (خيرى) في صوت بارد كالثلج :

— لم يعد لدى ما أخسره أنا أيضا أيها الوغد ،
فنجاحك في الفرار من هنا سيعنى ضياع آخر فرصة في
استعادة ولدى ، وهذا يشبه الموت بالنسبة لى .

كان لصرامته وبروده وجسارته أثر كالسحر ، فقد
نسى (فهم) أنه هو الذى يملك السلاح ، وهو الذى
يهدّد الآخرين ..

تراجع في دُعر هائل ، وقال في لهجة تقطر توسلاً
وضراعة :

— اتركنى أذهب ، وسأعيد إليك ولدك ..
أقسم لك .

استمر العقيد (خيرى) في تقدّمه البطيء ، وهو
يقول في صرامة باردة :

— فات أوان المساومة أيها الوغد .
دارت عينا (فهم) في محجريهما من شدّة دُعره ،

وتلفت حوله في رُعب بحثًا عن مفرّ ، ثم تفجّرت ملامحه
بالغضب مع شدة يأسه ، وصرخ :
— سأقتلك إذن .. سأقتلك ولنقض معًا .

كانت صرخة (فهم) كأنها إشارة الانطلاق
بالنسبة للعقيد (خيرى) ، فلم تكد تنبعث حتى تخلى
فجأة عن جهوده وبروده ، وقفز في رشاقة نحو (فهم) ،
وتحوّلت قبضته إلى كلابة فولاذية ، وهى تحيط معصم
هذا الأخير ، وترفع فوهة المسدس عاليًا ، لتطلق منه
رصاصة غاشمة فى سقف الحجرة ، ثم أدار العقيد
(خيرى) ذراع (فهم) كلها فى مهارة وسرعة ،
وأجبره بضربة قوية على إسقاط مسدسه ، وجذبه إليه
من سترته ، وكال له لكمة قوية فى أنفه ..

سالت الدماء من أنف (فهم) المحطّم ، وحاول
أن يدفع العقيد (خيرى) عنه فى دُعر .. ولكن هذا
الأخير وجّه إليه لكمة أخرى فى معدته ، تأوّه لها



وأجبره بضربة قوية على إسقاط مسدسه ، وجذبه إليه من سترته ، وكال له
لكمة قوية فى أنفه ..

(فهم) في ألم ومرارة ، قبل أن تخرسه لكمة ثالثة في فمه ..

غامت الدنيا أمام عيني (فهم) ، وخيل إليه أن الظلام يطبق عليه من كل جانب ، وارتجف جسده حينما شعر بفوهة مسدس تلتصق بجبهته ، وسمع صوت زناده يستعد للإطلاق ، مقترباً بصوت العقيد (خيرى) ، وهو يقول في صرامة :

— أين ولدى أيها القذر ؟

غمغم (فهم) في ضعف :

— لا يمكننى أن أخبرك .. سيقتلوننى .

قال العقيد (خيرى) في حدة :

— القانون أيضاً يمنح رجل الشرطة الحق في قتل المجرم ، الذى يحاول الفرار ، أو يقاوم محاولة القبض عليه أيها الوغد .

والآن يمكنك أن تختار بين موت فورى محتم ، وآخر قد لا يأتى أبداً .

لم يعد (فهم) قادراً على المقاومة ..

كان شعوره بالفرع قد وصل إلى ذروته ، وانهاره قد بلغ مبلغه ، فترك رأسه يتخاذل على صدره ، وغمغم في وهن واستسلام :

— سأخبرك أيها العقيد .. سأعترف بكل شيء .



٩ - القاتل ..

لم يكد (عماد) يرى الخفير ممسكاً ببندقيته ، حتى راوده الأمل في النجاة ، وهتف في انفعال :

— هناك رجل يسعى لقتل أيها الخفير .

عقد الخفير حاجبيه في دهشة ، وقال :

— رجل يسعى لقتلك أنت ؟!

قبل أن يشرح له (عماد) الأمر ، سمع صوت (مدبولي) من خلفه يقول :

— لا تصدّق عبث الصغير أيها الخفير .. إنه ابن شقيقتي ، وقد فرّ من المنزل حتى لا يذهب إلى المدرسة ، وهو يحاول منعي من استعادته .

ابتسم الخفير ، وقد خيّل إليه أنه فهم حيلة (عماد) ، الذي هتف في حدة :

— لا تصدّق أيها الخفير ، والذي هو العقيد (خيري) ، من شعبة البحث الجنائي ، في مديرية أمن القاهرة ، وهذا الرجل مجرم ، اختطفني من منزلي ، ويحاول الآن قتلي .

نقل الخفير عينيه في قلق ، بين (عماد) و (مدبولي) ، الذي اغتصب ضحكة ساخرة ، وهو يقول في تهكم :

— يا لك من طفل مخادع !! هذا هو ما صنعه التليفزيون بأطفال هذا الجيل .. لقد ابتكر عقله الصغير قصة بوليسية طريفة ، وتمادى في الأمر ، حتى ادعى أنه ابن عقيد في الشرطة ، في حين أن والده — زوج شقيقتي — رجل مسكين ، يمتلك كشكاً صغيراً لبيع الحلوى والسجائر ، ويقضي نهاره كله في كدّ وعرق ، من أجل إطعام هذا المخادع وأشقائه .

ثم مدّ يده إلى (عماد) ، وقال في صرامة :

— هيا يا ابن شقيقتي العزيز .. لقد فشلت محاولتك هذه المرة .

تشبث (عماد) بالخفير ، وصاح :

— صدقني أنه قاتل ، ولوقمت بتفتيشه ،
فستجده يخفي مسدسًا في طيات ثيابه .. هل سمعت عن
رجل يحمل مسدسه للبحث عن طفل هارب ؟
عقد الخفير حاجبيه ، وهو يسأل (مدبولي) في
صرامة :

— هل تحمل مسدسًا ؟

اغتصب (مدبولي) ضحكة أخرى ، وقال :
— إنه مسدس مرخص أيها الخفير ، وأنا أحمله
دائمًا ، وهذا الخادع الصغير يعلم ذلك ، ويستغله
لبعث الشك في قصتي .
ارتفعت فوهة بندقية الخفير نحو (مدبولي) في
بطء ، وهو يقول في شك :

— ولكنني سمعت صوت طلقات نارية ، وهذا
ما يجعلني أسرع إلى هنا .. فهل كنت تطلق النار على ابن
شقيقتك ؟

ضحك (مدبولي) في صعوبة ، وقال :

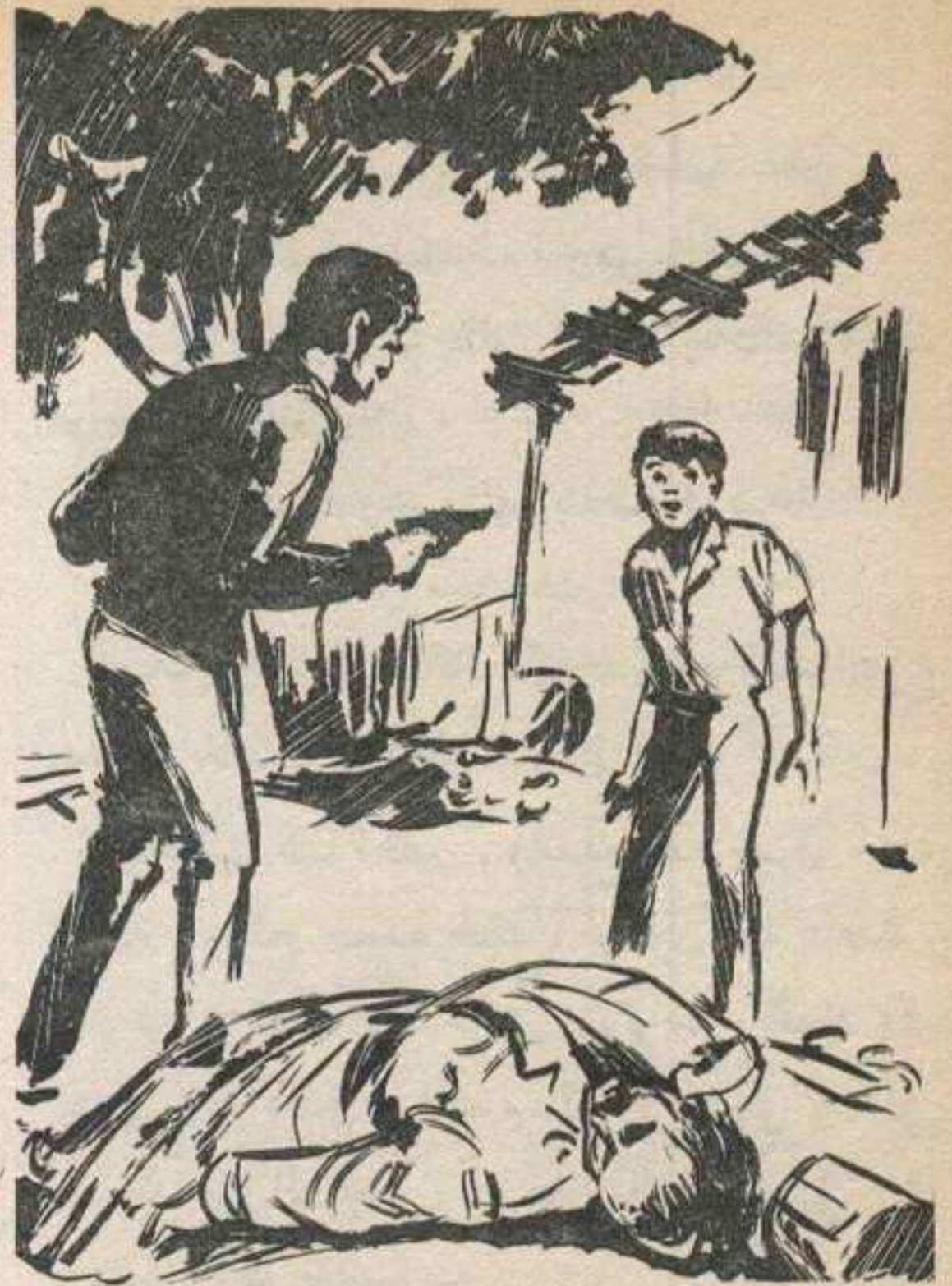
— طلقات نارية ؟! .. إنك واهم أيها الخفير .
ثم التقط مقبض مسدسه ، وهو يردف :
— إن مسدسي لم يطلق رصاصة واحدة ، وهاك
هو لتأكد مما أقول .

صاح الخفير ، وهو يُشهر بندقيته في سرعة :
— حذار أن تمس مسدسك .

ولكن (مدبولي) كان أكثر سرعة ، فقد انتزع
مسدسه بلا تردد ، وأطلق النار على الخفير المسكين ..
جحظت عينا الخفير ، واندفع الدم يفرق خلته
الرسمية ، وترنح جسده لحظة ، ثم هوى جثة هامدة ،
أمام عيني (عماد) المذعورتين ، وتراجع (عماد) في
ذهول ، وهو يحدق في فوهة مسدس (مدبولي) ، التي
يتصاعد منها الدخان ، في حين قال (مدبولي) في
وحشية ، وهو يقترب منه :

— قلت لك : لا فائدة تُرجى من فراك أيها
الشیطان الصغير ، فأنا قاتلك لا محالة .
وصوب مسدسه إلى رأس (عماد) ، وضغط زناده
في قوة ..

كان (عماد) يتوقع رصاصة قاتلة ، تحطم رأسه
الصغير ، وتنتهي عمره القصير ، ولكن الصوت الذي
قفز إلى أذنيه لم يكن صوت رصاصة ..
كان صوتاً معدنياً مكتوماً ، أعقبته صرخة ساخطة
من بين شفتي (مدبولي) ، الذي صاح :
— يا للمسدس اللعين .. لقد فرغت رصاصاته .
لم يصدق (عماد) نفسه لأول وهلة ، ثم صرخ
عقله فجأة أن هذه فرصة مثالية لمعاودة محاولته الهرب ،
فاندفع بمحاذاة جدار الخزن ، وأفلت بصعوبة من قبضة
(مدبولي) ، الذي قفز محاولاً منعه ، وعاد يعدو في
المنطقة المقفرة ..



ثم هوى جثة هامدة ، أمام عيني (عماد) المذعورتين وتراجع (عماد) في
ذهول ، وهو يحدق في فوهة مسدس (مدبولي) ..

اشتعلت ثورة (مدبولي) مرة أخرى ، وقفز خلف
(عماد) ، وهو ينتزع خزانة مسدسه الفارغة ،
ويلتقط من سرواله بضع رصاصات جديدة ، أخذ في
حشو الخزانة بها ، وهو يعدو خلف (عماد) ، الذي
أطلق ساقيه للريح ، وهو يبحث مرة أخرى عن مخبأ
جديد ، أو منفذ للهرب ..

كان يتجه في فراره هذه المرة نحو حقل القمح ،
وتوقف (مدبولي) لحظة ، ليثبت الخزانة في المسدس ،
ثم رفع عينيه إلى (عماد) ، الذي يعدو في سرعة ،
وغمغم (مدبولي) بكل ما يعتمل في أعماقه من توثر
وثورة :

— لن تفلت مني هذه المرة أيها الشيطان الصغير .
وبدلاً من أن يواصل عدوه خلف (عماد) ، وقف
ثابتاً ، ورفع مسدسه على امتداد ذراعه ، وضافت
عيناه ، وهو يصوب المسدس في دقة إلى الجسد
الصغير ، ثم غمغم في سخط :

— لن أخطئ جسدك هذه المرة أيها الصغير .
وحبس أنفاسه في قوة ، وأطلق الرصاصة القاتلة نحو
(عماد) ..



١٠ — النيران ..

قفز (عماد) في فرع ، عندما أصابت الرصاصة
صخرة ، على بعد سنتيمترات قليلة من ساقه ، فزاد من
سرعة عدوه ، وهو لا يدري أين يذهب هذه المرة أيضًا ،
وللمرة الثانية لم يجد أمامه سوى حقل القمح القريب ،
فاقتحمه وهو يستعيد موقفه المفزع مع الحية السامة ..
اختفى جسد (عماد) الضئيل ، بين سنابل القمح
في لحظات ، وعقد (مدبولي) حاجبيه في ضيق ،
وغمغم في توثر واضح :

— هذا الصغير الشيطان ، هل ينوى خداعي مرة
أخرى ؟

لم يتردد (مدبولي) ، فاقتحم الحقل بدوره ، وأخذ
يبحث عن عماد في عصبية زائدة ..

أخذ (عماد) يزحف على بطنه ، محاولًا الابتعاد ،
وبدا له حقل القمح كمحيط أصفر متلاطم ، لا نهاية
له ..

توقّف لحظة ليلتقط أنفاسه ، فتأهّى إلى مسامعه
صوت (مدبولي) ، يصيح قائلاً :

— لن تنجح في الابتعاد كثيرًا أيها الشيطان
الصغير .. استسلم أو

كان صوت (مدبولي) قريبًا ، حتى أن (عماد)
حبس أنفاسه ، واستقر ساكنًا في مكانه وسط سنابل
القمح ، محاولًا ألا تبدر منه أية حركة ، تشير إلى
وجوده ..

عاد (مدبولي) يكرّر نداءه في غضب :

— لا تجبرني على اتخاذ موقف تندم عليه أيها
الصبي ..

تلفت (مدبولي) حوله ، محاولًا استبطان المكان
الذي يختبئ فيه (عماد) ، ولكن الظلام ، وسكون

حركة (عماد) ، جعلاً هذا الأمر بالغ الصعوبة ، بل يكاد يكون مستحيلاً ..

ظهر الغضب على وجه (مدبولى) ، وغمغم فى سخط :

— هذا الصَّبِّى اللعين !!

وفجأة انعكست على وجهه أضواء النيران المشتعلة فى المخزن ، فبرقت عيناه ببريق شيطانى ، وابتسم وهو يقول :

— حسناً أيها الصَّبِّى الشيطان ، سأصنع لك جحيماً مناسباً .

سمع (عماد) صوت خطوات (مدبولى) وهو يتعد ، فعاد يواصل زحفه فى سرعة ، ولكنه قبل أن يتعد بصورة كافية ، سمع صوت الخطوات يعاود الاقتراب ، ويتجاوزه ببضعة أمتار ، ثم سمع صوت (مدبولى) يعلو صائحاً :

— أنت الذى اضطررتنى لذلك أيها الشيطان الصغير .

وفجأة ارتفع صوت عجيب ، كفرقة أخشاب صغيرة تحترق ، واشتم أنف عماد الصغير رائحة الدخان ، فخاطر برفع رأسه إلى أعلى ، ولم يكذب فعل حتى بلغ منه الرعب مبلغه ، فقد كان حقل القمح يحترق ، والنيران تقترب منه فى سرعة مذهلة ..

انطلقت سيارات الشرطة ، وهى تطلق أبواقها المميزة ، تقطع شوارع القاهرة ، إلى المكان الذى أشار إليه (فهم) ، والذى ادعى وجود (عماد) فيه ، وفى داخل إحداها كان العقيد (خيرى) يقول لأحد رجال الشرطة فى قلق :

— ينبغى أن نسرع ، فأنا أعرف ابنى جيّداً ، وهو لن يستسلم فى سهولة ، ولا بدّ من أن يقاوم على نحو قد يدفع المجرم للتخلص منه .

قال رجل الشرطة :

— لك أن تفخر بابنك الشجاع هذا يا سيادة العقيد .

ابتسم العقيد (خيرى) على الرّغم منه ، وغمغم :
— ولكنه ما زال طفلاً .

قال رجل الشرطة فى حماس :

— أصدقك القول إننى لم ألتق برجال فى مثل
ذكائه ، وشجاعته من قبل ، أراهنك أنه سيصبح عبقرياً
نادراً ، حينما يصل إلى سنّى .

أوماً العقيد (خيرى) برأسه إيجاباً ، وقال فى
آلية :

— المهم أن تمنح له الفرصة للوصول إلى سنّك
يا صديقى .

ابتسم رجل الشرطة ، وقال .

— سيتخطّى الستين بإذن الله يا سيادة العقيد .
ثم أردف ، وهو يشير إلى منطقة يخيّم عليها
الصمت :

— ها قد وصلنا .

توقّفت سيارات الشرطة فى المنطقة الخالية ، إلا من

كوخ خشبى صغير ، وهبط منها رجال الشرطة فى
تكتيك مدروس ، بحيث تحميهم سياراتهم ، وتتوجّه
فوّحات مسدساتهم إلى الكوخ الخشبى ، وصاح العقيد
(خيرى) بملء فيه :

— استسلم يا (مدبولى) ، لقد ألقينا القبض على
(فهم) ، واعترف بكلّ شيء ..

ساد صمت مطبق بعد عبارة العقيد (خيرى) ،
وغمغم أحد رجال الشرطة :

— لقد طوّقنا المكان كله ، ولا أعتقد أنه يحاول
الهرب .

كانت (غلا) التى صحبت فريق الشرطة إلى
المكان المهجور ، تتلفّت حولها طوال الوقت فى قلق ، ثم
لم تلبث أن قالت :

— لقد خدعنا (فهم) يا والدى .

استدار إليها رجال الشرطة فى دهشة ، وسألها
والدها :

— كيف تجزمين بهذا يا (غُلا) ؟

أشارت (غُلا) إلى المكان ، وقالت :

— هذا المكان مهجور ، حتى أنه من المستحيل تقريباً الوصول إليه دون سيارة ، ولو أنكم نظرتُم إلى العلامات ، التي تبدو واضحة على الطريق ، لتبينتم أنه لم تصل إلى هنا أية سيارة ، سوى سيارات الشرطة ، منذ وقت بعيد .

تأمل رجال الشرطة العلامات ، ثم غمغم أحدهم في دهشة :

— كيف توصلت إلى هذا أيتها الصغيرة ؟

أجابته (غُلا) في اهتمام :

— لقد علّمني والدي هذا ، حينما كان يشرح لي وأخى علم الفراسة ، الذي تدرسونه في كليات الشرطة .

قال العقيد (خيرى) :

— لقد تفوّقت فيه يا بنيّتي .

ثم تناول مسماع جهاز اللاسلكى ، وقال فى حزم :
— هنا العقيد (خيرى) .. أريد موافاقى بمواقع كل المناطق المهجورة ، حول القاهرة .

صمت لحظة ، ثم أردف فى قلق :

— وبسرعة ، قبل أن يحدث ما لا تحمد عقباه .



١١ — الاستسلام ..

أخذت النيران تزحف نحو (عماد) في سرعة مخيفة ، فوجد نفسه يعدو دون تفكير ، مبتعداً عنها ...
كان سباقاً رهيباً ، بين النار بكل قوتها ، وشراستها ،
وبين (عماد) بساقيه الصغيرتين ، ولكنه نجح في
مغادرة الحقل ، قبل أن تلتهمه النيران ..

لم يكد يفعل ، حتى وجد نفسه وجهًا لوجه أمام
(مدبولي) ، الذي افتر ثغره عن ابتسامة شرسة ،
وصوب مسدسه إلى (عماد) ، قائلاً :

— هل كنت تظن أنك قادر على هزيمتي أيها
الصغير ؟

أجابه (عماد) في شجاعة :

— الحق ينتصر دائماً أيها المجرم .

هوى (مدبولي) بصفعة قوية على وجه (عماد) ،
وقال في غضب :

— سأعلمك كيف تخاطبني أيها الوجد الصغير .
وفي قسوة جذب (عماد) من ذراعه إلى المخزن ،
ودفعه ليسقط على وجهه ، ثم انتزع عوداً خشبياً ،
ورفعه قائلاً :

— هل ذقت يوماً طعم الضرب أيها الصغير ؟

تمالك (عماد) شجاعته ، وقال :

— هل تجد قوتك في ضرب الصغار ؟

صرخ (مدبولي) في غضب :

— أيها الصغير الوقح .

ثم هوى بالعود الخشبي على رأس (عماد) ، ولكن
(عماد) قفز جانباً ، متحاشياً تلك الضربة القوية ،
وصاح :

— ألم تنتبه بعد إلى الخطأ الذي وقعت فيه أيها
المجرم ؟

عقد (مدبولي) حاجبيه ، وقال في قلق :

— أي خطأ هذا ؟

أجابه (عماد) :

— لقد أشعلت النار في حقل للقمح ، وستجذب

النيران عشرات الناس إلى هنا في غمضة عين .

ظهر القلق على وجه (مدبولي) ، وغمغم :

— ولكن الحقل ملك للزعيم .

هتف (عماد) ، في محاولة لإضاعة الوقت :

— لن يمكنك منع الشهامة المصرية على الأقل ..

وأراهنك أن عشرات الناس سيهرعون إلى هنا ، في محاولة

لإطفاء النيران ، فهم لا يعلمون أن صاحب الحقل مجرم

زني .

وفجأة حدث ما محا كل أثر للشك من نفس

(مدبولي) ، فقد تناهى إلى مسامعه صوت عشرات

الرجال ، وهم يسرعون إلى الحقل المشتعل ، فقال في

توتر وغيظ :



ثم هوى بالعود الخشبي على رأس (عماد) ، ولكن (عماد) قفز جانباً ،

متحاشياً تلك الضربة القوية ..

— لقد كنت مُحِقًّا أيها الصغير ، ولكن هذا لن
ينجيك مني .

ثم أردف ، وهو يرفع مسدسه في وجه (عماد) :
— سيكون آخر ما أفعله ، هو أن أقتلك .

كانت سيارات الشرطه تنهب الطريق نهبا ، عندما
صاحت (غلا) :

— انظريا والدي .. إنه حريق يشتعل .
عقد الوالد حاجبيه ، وقال وهو ينظر إلى النيران
المستعرة :

— هذه مهمة رجال الإطفاء و
صمت لحظة ، وكأنه لا يستطيع هضم
المنطق الذي يتحدث به ، ثم لم يلبث أن أردف :
— ولكنني أعتقد أننا نستطيع المعاونة على الأقل ،
حتى تصل سيارات الإطفاء .
غمغم أحد رجال الشرطه :

— ولكن هذا سيضيع المزيد من الوقت يا سيادة
العقيد ، وأنت تعلم أن حياة ولدك قد تتوقف على دقيقة
واحدة .

ساد صمت ثقيل ، ثم قال العقيد (خيرى) ، فى
صرامة رجل حزم أمر نفسه :

— ولدى مواطن مثل هؤلاء الذين يحترقون ،
والشرطه فى خدمة الشعب كله ، بلا تفرقة .
ثم أردف فى ألم :

— سنتجه جميعا إلى الحريق أولا ، حتى يصل رجال
الإطفاء ، وليفعل الله (سبحانه وتعالى) ما فيه الخير .

شعر (عماد) بالرعب ، أمام المسدس المصوب
إلى وجهه ، فقال محاولا إقناع (مدبولى) ، بالتخلي
عن فكرته الوحشية :

— لماذا تصرّ على ارتكاب جريمة عقوبتها الإعدام ؟
قال (مدبولى) فى حدة :

— صة أيها الصغير .. لا تحاول التلاعب بى مرة ثانية .

عاد (عماد) يقول :

— إن جريمتك وزعيمك حتى الآن ، لا تتعدى سرقة سيارة ، وعقوبة هذه الجريمة تعدُّ بسيطة ، بالنسبة لعقوبة قتل .

تردد (مدبولي) لحظة ، ثم قال في صرامة :

— ومن قال إننا سنعاقب بتهمة السرقة ؟

واغتصب ضحكة ساخرة ، قبل أن يستطرد :

— أنت الشاهد الوحيد على تورطنا في عملية السرقة ، وبقتلك ينتهى الأمر .

ازدرد (عماد) لعابه ، وقال :

— وهل نسيت شقيقتي ؟

اتسعت عينا (مدبولي) ، وغمغم في قلق :

— لا أعتقد أنها ستذكر وجوهنا جيدًا .

جاء دور (عماد) هذه اللحظة ، ليغتصب

ابتسامة ساخرة ، يخفى بها قلقه وهو يقول :

— أنت واهم إذن ، ألم تسمع زعيمك يقول إننا الصغيران اللذان يعاونان الشرطة ؟

غمغم (مدبولي) بمزيد من القلق :

— لا يوجد أطفال في صفوف الشرطة .

قال (عماد) في توثر :

— هذا ما تظنه أنت .

ظهرت الحيرة على وجه (مدبولي) ، ثم لم يلبث أن

قال في حدة :

— أنت تحاول خداعى ، ولكننى لن أتركك ، لأبذل من قتلك .

شعر (عماد) في هذه اللحظة أنه قد استفد كل

وسائله ، لإضاعة الوقت ، ومنع (مدبولي) من

ارتكاب جريمته ، ولم يعد أمامه سوى المقاومة ..

وفجأة اندفع (عماد) نحو (مدبولي) ، الذى

أصابته الدهشة من جرأة الصغير ، وصاح في توثر

بالغ :

— سأقتلك أيها الشيطان الصغير .. سأ

قبل أن يتم عبارته ، كان (عماد) قد انزلق بجسده الصغير من بين قدميه ، ثم اندفع يعدو ، محاولاً الخروج من المخزن ، الذى لم يغلقه (مدبولى) خلفه هذه المرة .. كان أمل (عماد) الوحيد هو النجاح فى الوصول إلى الرجال ، الذين يحاولون إطفاء الحريق ، والاستعجاء

..

لم يكد يصل إلى باب المخزن حتى دوى صوت رصاصة ، وسمع (عماد) صوتها وهى ترتطم بالباب ، مما زاد من رعبه ، فأطلق لساقيه العنان ، على حين صرخ (مدبولى) :

— توقف أيها الصغير .

رأى (مدبولى) (عماد) وهو يسرع نحو الرجال ، الذين انهمكوا فى إطفاء الحريق ، فغمغم فى توثر :

— هذا الشيطان الصغير ، سيفسد كل شيء .

ثم صوب مسدسه إلى (عماد) فى إحكام ، وغمغم :

— الوداع أيها الصغير .

ودوت فى المكان صوت طلقة رصاص .. طلقة صائبة هذه المرة .



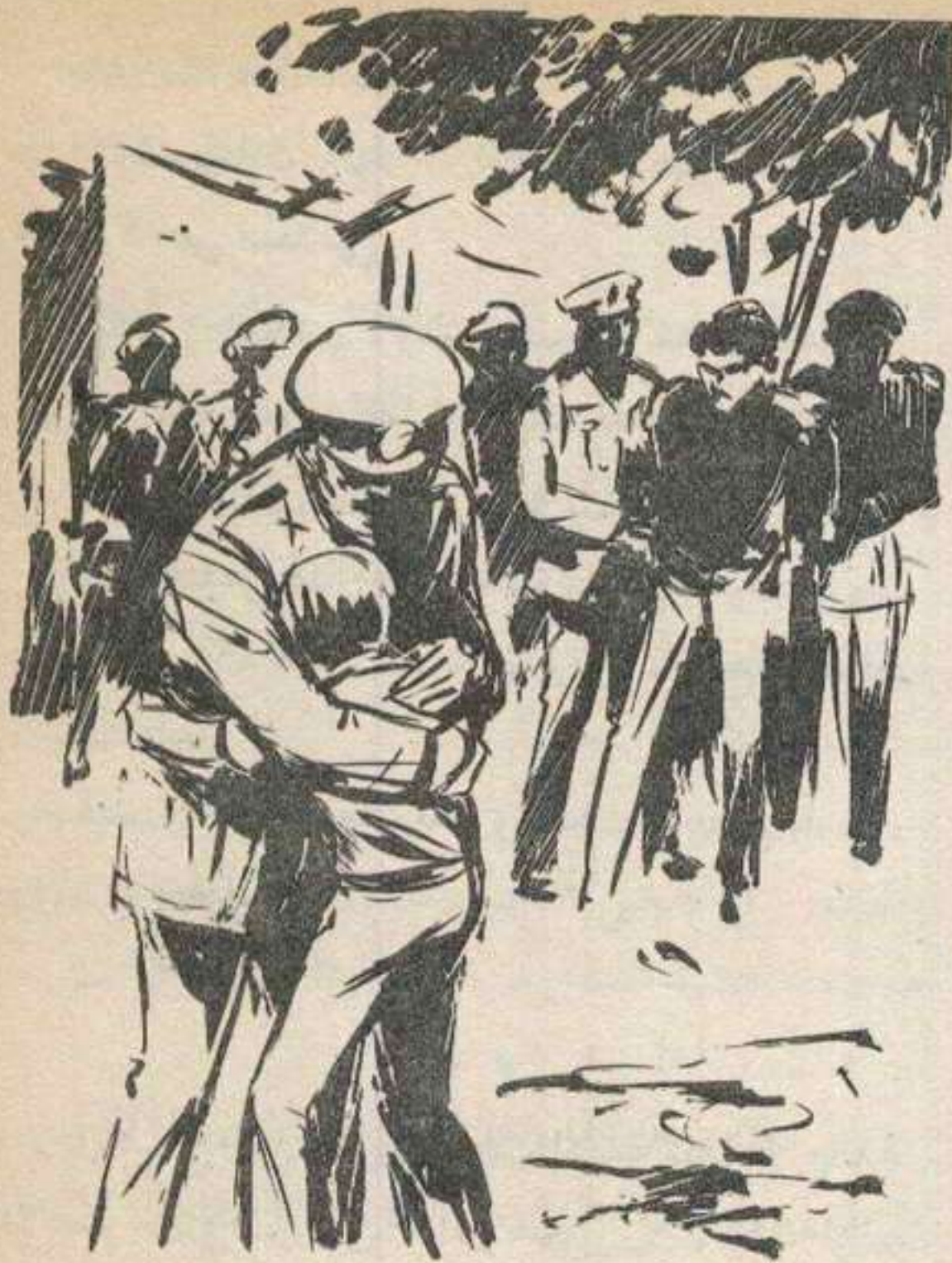
١٢ - الختام ..

تصوّر (عماد) لحظة ، أن الرصاصة قد أصابته في مقتل ، ولكنه توقّف عن العدو فجأة ، حينما وصل إلى مسامعه صوت صرخة ألم ، انطلقت من حنجرة (مدبولي) ، وسمع هذا الأخير يصرخ في رعب :
— إننى أستسلم .

استدار (عماد) في دهشة ، فرأى عشرات من رجال الشرطة يحيطون بالمكان ، ويلقون القبض على (مدبولي) ، الذى بدا شديد الرعب والتوتر ، ثم رأى شخصاً يعرفه جيّداً يسرع نحوه ، وفي يده مسدس يتصاعد من فوهته الدخان ..

كان والده العقيد (خيرى) ..

رقص قلب (عماد) فرحاً ، وهو يلقي بجسده الصغير بين ذراعى والده ، الذى هتف فى ارتياح :



رقص قلب (عماد) فرحاً ، وهو يلقي بجسده الصغير بين ذراعى والده ..

— حمدًا لله ، لقد وصلنا في الوقت المناسب ، كاد هذا الوغد يقتلك ، لولا أن رأيته ، فاضطرت إلى تحطيم يده برصاص مسدسي .

هتف (عماد) ، وهو يحتضن والده في سعادة :
— أنت تصل دائمًا في الوقت المناسب يا أبى .

أخفى الوالد سعادته ، وهو يقول :
— دُعنا من هذا الحديث ، ولنسرع بالعودة قبل أن يقتل القلق والدتك ، ثم سيكون لى معك ومع شقيقتك حديث طويل .

فهم (عماد) ما يريده والده ، فأحنى رأسه ، وقال فى خجل :
— كما تأمر يا أبى .

فى صباح اليوم التالى اجتمعت الأسرة كلها على مائدة الإفطار ، بالإضافة إلى اللواء (مندور) .. وكان الوالد يقول :

— صحيح أنكما نبحتما فى كشف لغز قضية لصّ السيارات ، ولكنكما تصرفتما بأسلوب مخطئ .
أضاف اللواء :

— هذا صحيح .. كان الأفضل والأصح إبلاغنا بما توصلتما إليه ، حتى يتم الأمر بالصورة الصحيحة .
قال (عماد) فى خجل :

— لقد خشينا أن تسخروا منا ، لو أن استتاجنا لم يكن صحيحًا .
قال الوالد :

— خطأ يا (عماد) .. كلنا بشر ، والعصمة لله وحده ، ولا ينبغى أن يتصرف الإنسان بصورة غير صحيحة خشية الفشل .
قالت (غلا) :

— هذا صحيح يا والدى .. سنضيف هذا الدرس إلى قائمة الدروس التى تعلّمناها من الأخطاء .
ثم قال (عماد) و (غلا) فى آن واحد :

— ونعذركم بالألا يتكرر الخطأ مرة ثانية مطلقاً .

ابتسم الجميع بتسامح ، ونهض اللواء (مندور)
قائلاً :

— حسناً .. سننسى كل شيء ، ونتذكر فقط
عبقريتكما في حلّ لغز لصّ السيّارات .
ثم نظر إلى ساعته ، وقال :

— والآن سأمنحكم امتيازاً جديداً ، فقد حان
موعد مدرستكما .

واتسعت ابتسامته ، وهو يقول :

— ستذهبان إلى المدرسة اليوم في سيّارة من سيارات
الشرطة ، وهذه أقلّ مكافأة تقدّمها لكم الشرطة
المصريّة يا فريق (ع × ٢) .

[تمت بحمد الله]

